الرحلة إلى الحجاز :

في عام ١٣٥٧ هـ رحل الشيخ « محمد أعظم الحسيني » إلى الديار المقدسة بنية الحج ، وبنية الهجرة ، واصطحب معه ابنته « سارة » وتلميذه الأثير « فتح الله » وأخويه « المرتضى » و « موسى » وبقية أفراد الأسرة ، منهم ابن أخيه وربيبه « جنيد » و « نصر الله » أصغر أبناء شيخه « عبد الرحيم » ، وكانت الرحلة إلى الهند أولًا ، ثم ركبوا البحر من ميناء « بومباي » إلى جدة ، إلا أنهم لأمرٍ ما تركوا « جنيدًا » و « نصرَ الله » بالهند ، ربما في إحدى المدارس ؛ ومدارس الهند تتبنى التلميذ كاملًا ؛ فيتعلم في المدرسة ويعيش بها تحت رعاية كاملة وعناية شاملة ، وهذه من أسرار نجاح علماء الهند وباكستان « الديوبنديين » في المحافظة على أجيال المسلمين .

الشيخ عبد الفتاح بن عبد الرحيم القارئ
عندما كان شابًا في مكة المكرمة

وبعد رحلة جهيدة طويلة في البحر الهندي وخليج عدن وصلوا إلى مرفأ جدة ، ومنه إلى البلد الحرام مكة المكرمة . وبعد أداءالحج استقر الجميع في مكة ، فرحين بهذا المُقَام المبارك في البلد الحرام ، إلا أن القلوب كانت مشتاقة إلى المدينة المنورة ؛ حيث رحلوا إليها بعد ذلك .

أما فتح الله فقد بقي في مكة ، والتحق بالمدرسة الصولتية ، وذلك في مطلع عام (١٣٥٨) هـ .. وكان يكسب قوت يومه من دكان صغير عمل فيه « خَصَّافًا » ، وأثناء دراسته بالصولتية كان يقرأ بالمسجد الحرام القراآت السبع بمضمن الشاطبية على المقرئ المصري المكي الشهير أحمد بن حامد التيجي الريدي ، ونال منه الإجازة بإسناده المعروف عام ١٣٦٣ هـ .

الشيخ أحمد بن حامد التيجي الريدي المصري المكي

وممن قرأ على الشيخ التيجي مقرئُ « حمص » ومفتيها الشيخ عبد العزيز عيون السود لكنه قرأ عليه قبل هذا التاريخ عندما كان الشيخ التيجي بالمدينة المنورة قبل انتقاله إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٧هـ . وكان الشيخ التيجي قد وصل إلى الحجاز من مصر عام (١٣١٦) هـ ، وجاور بالمدينة المنورة إلى سنة (١٣٣٥) هـ ؛ حيث رحل إلى الشام ، وأقام بحلب ،

ثم انتقل منها إلى مكة عام ١٣٤٧ هـ عند ما طلب منه « محمد زينل على رضا » مؤسس مدرسة الفلاح بمكة أن يدرِّس فيها في شعبة القرآن .

العلامة موسى جار الله القازانلي

وفي المدرسة الصولتية دَرَسَ الشيخ عبد الفتاح على مشاهير العلماء بمكة منهم العلامة التتري « موسى جار الله القازانلي » نسبة إلى مدينة « قازان » ببلاد « تتارستان » ؛ وهي مدينة كانت مشهورة بالعلم والعلماء ، وقد طُبِعَتْ بها نفائس الكتب الإسلامية ؛ ولما سألتُ يومًا من الأيام فضيلةَ العلَّامة المقرئ الشهير الشيخ « عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي » عن أصح طبعة لمتن « الشاطبية » ذكر طبعة قازان بمراجعة العلامة « موسى جار الله القازانلي » ؛ وأهداني نسخته منها .

من أنفس مؤلفات العَلَّامة « موسى جار الله » كتاب « الوشيعة في نقض عقائد الشيعة » ؛ وقصة تأليفه لهذا الكتاب أنه مكث بالعراق رَدْحًا من الزمن ، خَالَطَ فيه علماءَ الروافض في « النجف » و « بغداد » وعرف أسرَارَهم ومقالاتِهم وعقائدَهُم ثم ذهب إلى « إيران » واستقبلوه في مراكزهم في « قم » وغيرها وأُعجِبُوا بعلمه ، ومكث هناك برهةً من الزمن ، ثم عاد إل العراق وقد صنف كتابه « الوشيعة » ؛ فلما أظهره هددوه بالقتل ؛ فخاف من غدرهم وسافر

إلى مصر وطبع كتابه بها ، نشرته مكتبةُ « الخانجي » بالقاهرة ، وعندي هذه الطبعة .

وكان الشيخ « عبد الفتاح » يَحْضُرُ بالمسجد الحرام بعضَ دروس الشيخ « سعد وقاص البخاري » في الحديث والتفسير ، وهذا الشيخ من علماء مكة وقرائها ، كان مشهورًا بالصلاح تبدو عليه علامات الولاية ، وممن درس عليه القرآن سماحة الشيخ ابن باز .

ومن الطرائف أنه ذات يوم بينما كان الشيخ عبد الفتاح بالمسجد الحرام مع بعض أصدقائه من البخاريين ، ثم قاموا منصرفين ، واتجهوا إلى أحد أبواب المسجد للخروج ؛ فإذا بثلة من الجند يستوقفون الناس ؛ فهرب من كان مع الشيخ عبد الفتاح من باب آخر ، أما هو فتقدم رابطَ الجأش وهو يقول :

لم أرتكب شيئًا أخاف منه ..

وعند الباب استوقفه الجندي قائلًا :

– خذ هذه تابعية يا مُطوَّع واذهب بها غدًا إلى مكتب النائب للتوقيع .

وفي مكتب نائب الملك على الحجاز – وكان الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود – سأله الموظف :

– ما اسمك ؟

– اسمي فتح الله .

ولم يستسغ الموظف هذا الاسم فقال :

– بل أنت عبد الفتاح .

وأصبح من يومها « عبدَ الفتاح » وقد رُوي في الحديث الضعيف :
« **خير الأسماء ما عُبِّد وحمِّد** »
وفي اليوم التالي استلم الورقةَ بعد أن وقَّعَ عليها « فيصل بن عبد العزيز آل سعود » ، بتاريخ ١٣٥١ هـ .

وقد أَتَمَّ الشيخ عبدُ الفتاح دراستَه بالمدرسة الصولتية بعد أن أتمَّ دراسةَ القسم الثانوي ، وعُيِّن مدرسًا بها في القسم الابتدائي وقسم حفاظ القرآن ؛ فدرَّسَ بهما سنتين (١٣٦١) هـ و (١٣٦٢) هـ ، وفي ٨/ ٢/ ١٣٦٣ هـ عُيِّن مدرسًا بالمعارف ، وأُرسل إلى الجنوب فدرَّسَ بـ « مُحَايِل » في تهامة سنةً ، ثم نُقل إلى « أبها » مُدرِّسًا بالمدرسة الابتدائية بها ، وكان مديرها الشيخ « عبد المالك الطرابلسي » – من علماء مكة وقرائها – هو الذي اقترح نَقْلَه إلى هذه المدرسة ، حيث درَّسَ بها سنةً أيضًا .

ومن طُرَفِ هذه الفترة أنه لما اقترب شهر رمضان أُثِيرَت في مجلس أمير « أبها » : « تركي بن ماضي السديري » مسألَةٌ ، هي : هل يمكن خَتْمُ القرآن كلِّهِ في ليلةٍ واحدةٍ ، وأنكر معظم الحاضرين ذلك ، وقال أوسطهم إنه سمع أن بعض القراء في مكة يفعلونه ، فقال الأمير : إن مدير المدرسة الشيخ عبد المالك من قراء مكة فنسأله ..

وعَرَضَ الشيخ « عبد المالك » على والدنا الشيخ عبد الفتاح أن يقوم بذلك ، فاستجابَ ، وحُدِّدت ليلةُ سبعٍ وعشرين موعدًا لذلك ..

وفي الليلة الموعودة جاء الشيخ عبد الفتاح ؛ فاستقبله الأمير بالترحاب ، وإذا بمسجد القصر قد اكتُظَّ بالناس ؛ جاء أعيانُ « أبها » يتوقون لمشاهدة هذه الأعجوبة ، وبعد صلاة العشاء مباشرة تقدم الشيخ عبد الفتاح واستفتَحَ التراويحَ بصوتٍ نديٍّ جميلٍ ، وفي البداية كانت سرعة القراءة مُحتَمَلَةً ، وانسجم الناسُ مع حلاوةِ التلاوةِ ، لكنَّ السرعة أخذت تتصاعد شيئًا فشيئًا ، حتى عجز معظم الناس عن متابعة التلاوة ؛ لكنها كانت مفهومةً ، وفي الركعتين الأوليين من التراويح قرأ عشرة أجزاء ، ثم بعد أن سلَّمَ التفت إلى المصلِّين في جلسة استراحة لم تدم إلا دقائق قليلة تَمَكَّنَ فيها أكثر من نصف المصلين من الفرار ، وبعد أن قرأ العشرةَ أجزاءٍ التاليةَ التفت إلى المصلين في جلسةِ استراحةٍ ثانيةٍ ؛ فإذا بالأمير جالسًا وحوله عدد قليل من حاشيته ؛ وقال الأمير :

– لا إله إلا الله ؛ أنا جالسٌ يا شيخ عبد الفتاح من الجزء السابع عشر عجزْتُ عن القيام .

وتبسَّمَ الشيخ عبد الفتاح ثم قام إلى بقية التراويح فقرأ العشرة أجزاءٍ الباقيةَ وختَمَ قبل الفجر بساعةٍ أو أقل ؛ ولما التفت كبَّرَ الأميرُ وأخذ يدعو للوالد الشيخ عبد الفتاح ويشكره على هذه المعجزة التي تحققت على يديه .

وفي سنة (١٣٦٥) هـ عاد الشيخ « عبد المالك » ومعه والدنا الشيخ « عبد الفتاح » إلى مكة .

وفي أول هذه السنة تزوج الشيخ « عبد الفتاح » من ابنة شيخه « أعظم الحسيني » : « سارة » ؛ وذلك بالمدينة المنورة ، ثم أخذها معه إلى مكة ؛ حيث ولدت له في أواخِرِ تلك السنة أولَ أولاده « عبد العزيز » ، وذلك ليلة الجمعة ، الثالث والعشرين من ذي الحجة من ذلك العام (١٣٦٥) هـ ، وذلك في منزله بالمسفلة بمكة ..

وهنا تنتهي الفصول المتعلقة بـ « **الأصول** » وتبدأ السيرة الذاتية لكاتب هذه السطور .

[الحلقة التالية : الانتقال إلى نجد]